zain

جائزة الطيب صالح
Al Tayeb Salih Award

شعر

خريف الأوسمة

فصل من تغريبة النازحين

حسن إبراهيم الحسن

خريف الأوسمة

فصل من تغريبة النازحين

حسن إبراهيم الحسن

المجموعة الفائزة بجائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي (المركز الأول)
عام ٢٠١٤

■

الكتاب: خريف الأوسمة (فصل من تغريبة النازحين)
المؤلف : حسن إبراهيم الحسن

■

رقم الإيداع : ٧٠٨ / ٢٠١٥ م
الطبعة الأولى - ٢٠١٥
حقوق الطبع محفوظة
■

الناشر : الشركة السودانية للهاتف السيار (زين)

■

الغلاف : دار مدارك للطباعة و النشر
التنضيد : حسن إبراهيم الحسن

خريف الأوسمة

الفهرس

١. الإهداء ٥

I قبضة من أثرهم

٢. هامش أول ٩
٣. حرفان ١١
٤. طفل ١ .... ١٣
٥. طفل ٢................................ ١٥
٦. خريف الأوسمة ١٧
٧. أغنية ٢١
٨. ذاكرة الحصى ٢٣
٩. و أنا كذلك ٢٧
١٠. هنانو : شباط ٢٠١٣ .... ٣١
١١. إزميل ماء ٣٧
١٢. الأمهات ٣٩
١٣. غرفة واحدة ٤٥
١٤. آثار دم ٤٩
١٥. بعد نافذتين ٥٣
١٦. فأر التجارب ٥٧
١٧. سفوح الأربعين ٥٩

١٨. مشروع قاتل ٦٥
١٩. هامش أخير ٦٧
٢٠. تذييل ٦٩

II كتاب الحرب

٢١. متن ٧٣
٢٢. هامش عن الحرب ٨٥

III من أخبار الرسل والملوك

٢٣. يام ٨٩
٢٤. يعقوب ٩١
٢٥. أخوة يوسف ٩٣
٢٦. زرقاء اليمامة ٩٥
٢٧. المتنبي ٩٧

IV جمرة الماء

٢٨. الليلة الأولى ١٠٣
٢٩. الليلة الألف ١٠٧
٣٠. الليلة الثانية بعد الألف ١٠٩
٣١. نوافذها ١١١
٣٢. نصف نافذة ١١٣

الإهداء

إليهِ في تغريبة النازحين :

طفلٌ بلا قدمينِ ..

يرمقُ من بعيدٍ صِبيَةً ..

يسّابقونَ إلى الكُرَةْ

قبضة من أثرهم

هامش أول

" أَحَبُّ البلادِ إليَّ .. أنتِ ،
و ما كنتُ أخرجُ لولا أنَّ أهلكِ أخرجوني ... "[١]

---

(١) محمد رسول الله (ص) مخاطباً مكّة يوم الهجرة (بتصرف)

حرفان

لا شيءَ يوجعني سوى أمرينْ ؛

- أنَّ ابنتي ..
  لم تبلغِ الكلماتِ بعدُ ،
  و لم تقُلْ : (بابا)
  و لكن ..
  من هديرِ الطائراتِ تعلَّمتْ حرفينْ :

ترنو إلى الأعلى كجروٍ خائفٍ ،
و تقولُ : (بُوووووو)

- أيضاً و توجعني الطوائِفُ
حينَ تصنعُ من ترابٍ واحدٍ ضدَّينْ

لا شيءَ يوجعني سوى حرفينْ ...

* * * *

مدينة هنانو : أول الحرب - تموز - ٢٠١٢

طفل ١

الكونُ أرخصُ من حذاءٍ
حينَ يمشي حافياً طفلٌ ..
بلا أمٍّ .. و أبْ ؛

طفلٌ ..
يبولُ على أصابعهِ ،
يدَفِّئها قليلاً ..
ريثما يجدُ الحطبْ

طفلٌ ..
مساءَ الثلجِ يحلمُ بالسريرِ ..
و أمِّهِ الـ قالوا سترجعُ من حلبْ

طفلٌ ..
أقلُّ من الأصابعِ شمعهُ
لكنَّ في عينيهِ عمراً من تعبْ

طفلٌ ..
صباحَ العيدِ يبكي
بحَّةُ الناياتِ لثغتُهُ ،
و أوجاعُ القصبْ ....

* * * *

أنطاكيا : ٢٣ – تشرين الثاني – ٢٠١٣

طفل ٢

طفلٌ بلا قدمينِ ..
يرمقُ من بعيدٍ صِبيَةً ..
يسّابقونَ إلى الكُرَةْ

هوَ آخرُ الناجينَ
يحملُ ذعرَ مَنْ هلكوا ..
من الطوفانِ حتى المجزرَةْ

ما أصغرَ الدنيا على قدميهِ /
تيجان الملوكِ ،
و شعرنا ..
ما أصغرهْ ... /

ما أصغرَ الأمم التـي ..
اغتالت بريقَ الطفلِ في عينيهِ ،
بل .. ما أكبرَهْ

* * * *

أنطاكيا : ٢٩ – تشرين الثاني – ٢٠١٣

خريف الأوسمة

كانت قناديلُ المسافةِ معتِمَةْ
و النازحونَ ..
على صراطِ الملحمَةْ :

أمٌّ ..
تُهَدهَدُ طفلَها
و تعُدُّ ما بينَ القذيفةِ و القذيفةِ أعظُمَهْ

و أبٌ ..
تُشَظّي الطائراتُ
سماءَ شرفتهِ
فيدفنُ في الحديقةِ أنجُمَهْ

و أنا ..
زجاجٌ خائفٌ ،
و أنا الحصى ،
روحي ..
كذاكرةِ الزجاجِ مُحطَّمةْ

الآنَ ..
أبصرُ ماردَ الإنسانِ
يكسِرُ ..
في صِراعاتِ الطوائِفِ قُمْقُمَهْ

و الآنَ أبصرُ ..
كيفَ يكسو (بزَّةَ) الجنرالِ ..
تاريخُ المجازرِ أوسِمَةْ

ظهرَ السماءِ الآنَ أبصرُ
كيفَ تقدرُ دمعةٌ من نازحٍ
أن تقصِمَهْ

وطني الذي ..
مذ باتَ ينأى كالأماني
بتُّ أحترفُ النعاسَ لأحلُمَهْ

وطني البسيطُ كعشبةٍ
يحتاجُ تاريخَ الطوائفِ نازحٌ
كي يفهَمَهْ

* * * *

مدينة هنانو : ٢١ – شباط – ٢٠١٣

أغنية

غنيتُ للمجرى :
(أحبُّكَ يا نقيضَ الدربِ ...)
مذْ كانَ الحيادُ على الضفافِ

غنيتُ للوطنِ المُبعثرِ ..
في الحقائبِ /
في خيامِ النازحينَ ،
و في المنافيِ

غنيتُ ..
كي أَهَبَ الجياعَ ..
رغيفَ حلمٍ
ريثما ينزاحُ كابوسُ العجافِ ..

غنيتُ ..
للأطفالِ في ليلِ الخيامِ /
لقلبِ أمٍّ .. فوقَ جمرِ الخوفِ حافِ

غنيتُ :
(يا اللهُ ..
شعبي لا يريدُ سوى السلامِ
و حسبهُ قمحُ الكفافِ ...)

غنيتُ ... ،
أعرفُ عندما غنيتُ
أنَّ البحرَ لا يروي ، و لا زبدُ القوافي

* * * *

دبي : ٢٦ – تشرين الثاني – ٢٠١٣

ذاكرة الحصى

فيمَ انتظاركَ ؟
كلُّهم رحلوا ..
فَلِمَنْ تلوّحُ أيُّها الطللُ

مرّوا ..
و ما عرفوكَ ،
لو عرفوا ..
لا الدمعَ بل أحداقَهم هطلوا

منذُ الفراتَ ..
على ظهيرتِهم ..
كنتَ السرابَ ليُورِقَ الأملُ ،

كنتَ انعكاسَ الظلِّ /
جمرتَهم ..
فيمَ اشتعالُكَ بعدما أفلوا ؟

بالأمسِ ..
لو في بالهم خطرتْ ..
قُبَلُ الوداعِ ،
بطينكَ اغتسلوا

يا تهمةَ التفّاحِ ؛
ما نضجوا ...
لكن على أغصانهِم ذبلوا

هُم ..
شعبُكَ الضلّيلُ ، يؤنسهم
قرحُ الحنينِ الـ ليسَ يندملُ

هُمْ ..
طينُكَ المسحوقُ ،
يا وطني
و هُمُ الحصى الـ حملتكَ يا جبلُ

* * * *

الدوحة : ٢٨ – تشرين الثاني – ٢٠١٣

و أنا كذلك

- أنا نازحٌ ...
- و أنا كذلكَ ...

قالَ طفلٌ ،

و الغريبُ أجابهُ

فتعانقا ،

و تقاسما في خيمةٍ للنازحينَ رغيفَ خبزٍ يابسٍ

- أنا خائفٌ ...
- و أنا كذلكَ ...

قال جنديٌّ

و ردَّتْ أمُّهُ ،

لمّا رأتْ أمَّاً تزغرِدُ في الجنازةِ /

- متعَبٌ ...
- و أنا كذلكَ ...

قالَ حفَّارُ القبورِ ،
و سائقُ الإسعافِ ،
و الجرحى ،
و أمٌّ ثلاثةٍ سقطوا عشيَّةَ غارةٍ

- أنا شوكةٌ ...
- و أنا كذلكَ ...

طفلةٌ قالت ،
فردَّتْ وردةٌ نتأتْ على قبرٍ جماعيٍّ
يضمُّ العائلةْ

- أنا ظالمٌ /

أنتم كذلكَ ...

حينَ يصنعُ ظالمٌ من ضعفنا سيفَ الشرائعِ /

حينَ تسبقُ ضربةُ الجلّادِ ميزانَ العدالةِ ،

ثمَّ تأمرنا استقيموا ..

و العدالةُ مائلةْ

- أنا قاتلٌ /

أنتم كذلكَ ...

حينَ نصمتُ ..

ثمَّ ننهرُ – كي نجاملَ قطَّةَ الجلادِ – أمَّاً

خلفَ جنَّازِ الضحيَّةِ ذاهلةْ

- أنا زائلٌ /

أنتم كذلكَ ...

و السلاطين ؛ السلالاتُ التي لبست ظلالَ الله ..

أيضاً زائلةْ

* * * *

مدينة هنانو : ١٣ - شباط - ٢٠١٤

هنانو : **شباط ٢٠١٤**

هنانو ..
شارعٌ يحتَلُّ خاصرةَ المدينةِ مثلَ حرفٍ زائدٍ ،
تمحوهُ طائرةٌ ،
و تكتبهُ ابتسامةُ طفلةٍ ما بينَ قنبلتينِ تلهو بالشظايا

هنانو ..
سيرةُ الحربِ التي تتزوجُ القتلى
و تنجبُ نازحينْ

هنانو ..

ألوحيدةُ مثلَ بومٍ

و الصبورةُ مثلَ سلّورٍ يُجذِّفُ ضِدَّهُ الماءُ – الطبيعةُ

لم تزلْ ..

بيدينِ راعشتينِ ترفعُ في مهبِّ الطائراتِ

الأصبعَ الوسطى

و تضحكُ ..

ثمَّ تضحكُ مثلَ طفلٍ ساذجٍ حتى السعالْ

هنانو ..

قشّةٌ /

ريشٌ /

حصاةٌ تسندُ الأرضَ التي مالت مساءَ الحربِ

و ارتدَتِ الظهيرةَ ..

تحتَ وطأةِ طفلةٍ تهذي على الأنقاضِ :
(مَامَا ....)

هنانو ..
هامشٌ في نشرةِ الأخبارِ بعدَ الغارةِ العشرينَ ..
و القتلى ..
و بضعِ مجازرٍ /
خبرٌ قصيرٌ عاجلٌ /
قوسانِ ..
بينهما كلامٌ يكسرُ الإيقاعَ
و النثرَ المرادفَ
و البلاغةَ
و الأزاميلَ التي من وطئها نطق الجمادْ

هنانو ..

- ألظهيرةُ :

طائراتٌ – تحرثُ الأفقَ المعَدَّ لنزهةِ الجنرالِ –
يربحُ نردُها الناريُّ عائلةً ..
و بضعَ منازلٍ ..
و شُجيرَتَي سروٍ
و حافلةً لنقلِ الخبزِ و الجرحى معاً /

- ليلٌ :

لطيشِ الجندِ ..
و المرضى بداءِ الغزوِ و الضدِّ ؛ العدوِّ ..
و شهوةِ الأنقاضِ /

- فجرٌ :

للنزوحْ ....

هنانو ..

ذاتهُ الطينُ الذي كانَ الصغارُ

يؤثِّثونَ قلاعَهم منهُ الظهيرةَ ،

ذاته ..

كانَ المقابرَ ..

في شباطَ عشيَّةَ الغاراتِ ما بعدَ الظهيرةْ

هنانو ..

أولُ الكلماتِ /

آخرها ..

و بينهما هنانو

هنانو ..
ليسَ من شيءٍ لديَّ سوى البلاغةِ كي أغطّي
جرحكِ العاري ...
سأكتبُ ..
بيْدَ أنَّ الحربَ تأكلُ كلَّ شيءٍ
ثمَّ تلقي بالعظامِ لشاعرٍ مثلي
و تنهرهُ :
(خُذِ الشعرَ – القمامةَ عن غدي و انبح بعيداً ....)

* * * *

مدينة هنانو : ٨ - شباط - ٢٠١٤

إزميل ماء

كنتَ المدى ..
قبلَ المدى /
كنتَ انفلاتَ الريحِ ،
كنتَ جموحها ...
من أطَّرَكْ ؟

كانَ الترابُ ..
دفاترَ الأطفالِ
إذْ كانت شبابيكُ السحابةِ دفترَكْ

حطَّمتَ تاريخَ المعاوِلِ
عندما ..
إزميلُ ماءٍ كانَ يخدشُ مرمَرَكْ

و الآنَ أعجبُ ..
كيفَ يدفنُ معدِنٌ صدِئُ الأظافرِ
شمسَ حلمِكَ في الدركْ !

الآنَ ..
أدركُ كيفَ تقدرُ
– في صراعاتِ الطوائفِ – قشَّةٌ
أن تكسِرَكْ !

* * * *

إدلب : ١٢ - تموز - ٢٠١٤

الأمهات :

في الضفتينِ ؛
الأمَّهاتْ ..
يشعلنَ شمعَ الأمنياتْ /

يدعونَ ..
للضدَّينِ في حربِ الطوائفِ ..
بالنجاةْ /

* *

ينسجنَ قفّازينِ
من دفـءِ الدعاءِ
و قُبَّعَةْ ..

للذاهبينَ من الجنودِ
إلى ضفافِ الزوبَعَةْ

و يَقُلنَ للجنرالِ :
شعبُكَ فرَّقتهُ الأقنعةْ

*   *

منذُ اصفرارِ القمحِ
حتى تستديرَ الأرغفَهْ

يخبزنَ للأطفالِ
أحلامَ الحياةِ المُترَفَةْ /

و يضِئنَ قنديلَ الحكايا
في ليالي الأرصفةْ ...

* *

في الضفتينِ ؛
الأمَّهاتْ ..
يرفعنَ أسوارَ الحياةْ

و يقُلنَ للموتِ :
انتظِرْ ..
حتى نُتِمَ الذكرياتْ

* *

منذُ ..
التماعِ الطلقةِ الأولى
و حتى المجزرَةْ

يحرسنَ
من (بارودةِ) الصيَّادِ ..
حُلمَ القُبَّرَةْ

كُنْ أولَ الجرحى
– يقُلنَ –
و لا تَلُذْ بمُجنزَرَةْ ......

* *

كنّا الفَرَاشَ ..
و كُنَّ دفـءَ الشرنقةْ ،

صِرنَ الفراشَ ..
و نـحنُ صِرنا المحرَقَةْ

*   *

غرفة واحدة

أعيشُ معَ الموتِ في غرفةٍ واحدةْ /

أدَلِّلهُ ؛
في الصباحِ ..
أعِدُّ لهُ المائدةْ

و لكنَّهُ لا يحبُّ الفطورَ النباتيَّ في الحربِ ،
يمضي ..
ليصطادَ عصفورةً شاردةْ

و عندَ الظهيرةِ
– ما بينَ قنبلتينِ – أفيقُ /
أحدِّقُ في كأسهِ الباردةْ

أقولُ :
صديقي تأخَّرَ عن موعدِ الشايِ ... /
أقلقُ ...
لكنَّ إحدى وكالاتِ أنباءِ جيشِ الدفاعِ تقولُ
بأنَّ فتىً و شقيقاتِه الخمسَ و الوالدةْ ..

و مجهولتينِ ..
حصيلةُ مجزرةِ (الفرنِ) حتى الظهيرة ،
و المسعِفونَ يقولونَ أنَّ المصابينَ (مشروعُ قتلى)

أقولُ :
إذنْ ما يزالُ صديقي بخيرٍ هناكَ يزاوِلُ مهنتهُ الخالدةْ

و لا يكسرُ القاعدةْ

أصلّي /

أنامُ /

أرى الموتَ /

أصحو /

أحدِّقُ في (الشاشةِ) الباردةْ :

على حاجزٍ عسكريٍّ ثلاثةُ قتلى ... ،

– و إحدى الوكالاتِ تنعي المُصوِّرَ –

بضعةُ جندٍ من الجانبينِ ... ،

فتىً ..

و شقيقاتُه الخمسُ و الوالدةْ ..

و مجهولتانِ ..

حصيلةُ هذا المساء ....

أفكرُ بالأسرةِ البائدةْ ..

ثلاثَ دقائقَ أخرى ،
و أنسى قليلاً
لكي أستطيعَ النعاسَ
لأنَّ الحياةَ هنا خبرٌ عاجلٌ
و أنا همزةٌ زائدةْ

أعيشُ معَ الموتِ في غرفةٍ واحدةْ ...

* * * *

مدينة هنانو : آب - ٢٠١٢

آثار دم ..

لا ..
لا أحبُّ مصارِعَ الثيران /
لا الجمهورَ /
لا عمّالَ شبَّاكِ التذاكرِ /
لا المذيعَ ..
و لا المذيعةَ حينَ يمتدحانِ في عنقِ الضحيّةِ
سيفَ قاتلها الوسيمِ
و لا أحبُّ الصامتينَ /
الجالسينَ على الحيادِ ؛
على أصابعهم أرى آثارَ دمْ

لا ..
لا أحبُّ الجندَ /
لا الجنرالَ – قائدَهم
و لا ابنتَهُ الجميلةَ ..
و هي تقبضُ مثلَ جنديٍّ على عنقِ الكمانِ
و لا أحبُّ قصائدي مُذْ صِرتُ شاعرَها المفضَّلَ /
لا أحبُّ الوردَ في يدها ..
و لا عشَّاقَها الـ قطفوهُ حينَ أصابها الغثيانُ
من موتى المجاعةِ في خيامِ النازحينَ
و لا أحبُّ أنيسَها في الأمسياتِ – الببَّغاءَ ...
على أصابعهم أرى آثارَ دمْ

لا ..
لا أحبُّ جوائزَ الآدابِ ،
و (الكيميا) ،
و (نوبِلَ) للسلامِ ...
على أصابعهِ أرى آثارَ دمْ

لا ..
لا أحبُّ حبيبتي في الحربِ ،
أكرهها قليلاً حينَ أذكرُ – بينَ قنبلتينِ – أنَّ الحربَ أنثى
مثلَ كلِّ العاشقاتِ ؛ على أصابعها أرى آثارَ دمْ

لا ..

لا أحبُّ الصامتينَ /

الجالسينَ على الحيادِ ؛

أنا ..

و أنتَ

على أصابعنا أرى آثارَ دَمْ ...

دَمْ ..

دَمْ ..

دَمْ ..

* * * *

اسطنبول : ٢٤ – تشرين الثاني – ٢٠١٣

بعد نافذتين

الحربُ تنبحُ خارجَ المعنى ،
تماماً بعدَ نافذتينِ ..
أعني خارجَ المبنى
أحبُّكِ ...
هل سمعتِ الصوتَ ؟
ليسَ دويُّ قنبلةٍ ، و لا جرسُ الكنيسةِ
ما يدقُّ الآنَ نافذةَ القصيدةِ
إنها لغتي تجرِّبُ في مديحكِ مفرداتِ الحربِ

يحدثُ أن أرى المطرَ / انعكاسكِ
بعدَ نافذتينِ ..
يجلدُ شرفتي الظمآى
فتصهلُ في دمي الصحراءُ ،
أعني لسعةَ المنفى / غيابَكِ ..

بعدَ نافذتينِ
يحدثُ أن أرى
امرأةً تنقِّحُ حنطةَ الأيامِ من شوكِ الحصارِ
و تمدحُ المنفى
تماماً بعدَ سنبلتينِ من وطني / يديكِ

الحربُ تنبحُ خارجَ المعنى ، ...
تماماً بعدَ قنبلتينِ
يحدثُ أن أرى
طفلاً يزيِّتُ بندقيتَهُ / العصا ، و يديرُ معركةً

و يحدثُ أن أرى
امرأةً تبيعُ ضفائرَ الثومِ المجفَّفِ ..
و السجائرَ في الصباحِ ،
و حينَ تندلعُ الظهيرةُ تسعفُ الجرحى ،
و ترجعُ في المساءِ إلى المخيَّمِ
كي تعدَّ الخبزَ /

يحدثُ أن أرى
امرأةً تقشّرُ برتقالتها على صحنِ الرصيفِ
و ترضعُ الأطفالَ /

يحدثُ أن أرى
متسوِّلاً أعمى بلا قدمينِ يضحكُ
بينما يبكي فتىً من لسعةِ الذكرى على الأطلالِ

يحدُثُ أن أرى
الطرقاتَ تقفزُ بينَ مجزرتينِ /

يحدثُ أن أرى ..
لغتي تجرِّبُ في مديحكِ مفرداتِ الحربِ
ليسَ دويٌّ قنبلةٍ ،
و لا جرسُ الكنيسةِ
ما يدقُّ الآنَ نافذةَ القصيدةِ
إنَّهُ خللٌ طبيعيٌّ يصيبُ عقاربِ الساعاتِ / قلبي ..
بانتظاركِ ....

* * * *

مدينة هنانو : كانون الثاني - ٢٠١٤

فأر التجارب (السجين)

لم يمتَدِحْ مَلِكاً
و لم يهجُ الرعيَّةَ /
هامشيٌّ مثلَ كعكٍ فائضٍ عن حاجةِ الفقراءِ
في الأعيادِ /
هشٌّ / شاحبٌ / خشِنٌ كخبزِ النازحين
و هادئٌ جدَّاً /
أليفٌ مثلَ فئرانِ التجاربِ

لم تكُنْ عيناهُ زرقاوينِ كي تصطادَهُ امرأةٌ ..

و لم يتعلمِ العربيةَ الفصحى
لكي تصطادهُ (كميرا) مراسلِ نشرةِ الأخبارِ

حدّثني قليلاً عن طفولتهِ الطويلةِ مثلَ ليلِ الحربِ /
عن شبحِ المُحَقِّقِ حينَ يغفو /
عن (بساطِ الريحِ)[٢] /
عن وجعِ التعرِي ساعةَ التفتيشِ
حدَّثني ...
و حدَّثني ...
إلى أن أيقظَتْ غيبوبةَ الكلماتِ أسئلةُ المُحَقِّقِ :
(... كنتُ أولَ من أطاعَ ،
و كنتُ آخرَ من عصى ،
لم أمتَدِحْ مَلِكاً ، و لم أهجُ الرعيَّةَ /
لم أقُلْ : لا .. عندما قالوا نعم ....)

* * * *

سجن الأمن العسكري - حلب - ١٧ - آذار - ٢٠١٤

---

(٢) ألة للتعذيب تشبه الصليب

سفوح الأربعين

أتأملُ التمثالَ ؛
مرآةٌ تُجسِّدُ دهشةَ النحاتِ من إزميلهِ

أتأملُ المرآةَ ؛
طفلٌ في سفوحِ الأربعينَ
كأنَّهُ الصفصافُ في أيلولهِ

أتأمَّلُ الأعمى ؛
يدٌ بعصا تجسُّ الدربَ ،
و الأخرى تضيءُ
لكي يسيرَ المبصرونَ على سنا قنديلهِ

أتأمَّلُ الطفلَ الرضيعَ ؛
صراخهُ ،
و سكونَهُ للنهدِ
أصغي للنقاشِ البربريِّ يديرهُ دودُ الأصابعِ
ربَّما خيطُ الحليبِ يُعيضُ عن تأويلهِ

أتأملُ الصحراء ؛
" عاريةً تدلكُ نهدها بالشمسِ " /
تبتكرُ السرابَ لكي يصدقَ ظامئٌ
أنَّ السرابَ صدى صراخِ الماءِ يقتادُ المسافرَ
مثلما يقتادهُ للبيتِ حدسُ خيولهِ

أتأمَّلُ الجسد الذي يمشي على وحلٍ
و ينسى أمَّهُ الأرضَ التي وُلِدَتْ مِراراً
من مخاضِ وحولهِ

أتأملُ الناجينَ و الغرقى من الطوفان ؛
قد ينجو الضعيفْ

أتأملُ الماءَ الرهيفْ ؛

ألمدُّ تلميذٌ يغادرُ حلمهُ البحريَّ
يلعبُ مَعْ رفاقٍ ..
ربَّما كانوا أشدَّ ضراوةً مما يُخبِّئُ
مخلبُ الماءِ الأليفْ /

ألجزرُ مرحلةُ الحنينِ إلى سريرِ الماءِ ،
يرجعُ مثلما يمضي نقيّاً
لا يلوثهُ الصراعُ على حدودِ الرملِ ..
لكن سوفَ يفضحُ بطشَهُ جرحٌ طفيفْ ..

ممَّا يخلِّدُ في الرخامِ – وراءَهُ – إزميلُ ماءٍ
غامضٌ
و هو الشفيفْ

أتأملُ الصدأَ الذي يعلو الصواري من هواءِ البحرِ
كالنمشِ العجوزِ ..
يُشعُّ في الستينَ قبلَ الإنطفاءْ

أتأملُ الشرقَ ؛
العواصمُ تارةً وطنٌ ،
و منفىً تارةً
" كالأعدقاءْ "

أتأملُ الريحَ /
السحابَ /
الماءَ ..
أهذي : من ترى الأقوى
" الحديدُ هو انعكاسُ صلابةِ الأشياءِ و الأقوى
و لكنْ قد تذيبُ النارُ قسوتَهُ
إذنْ فالنارُ أقوى /
الماءُ يطفئها

إذنْ فالماءُ أقوى /

الماء يحملهُ الغمامُ الهشُّ ؛

الغيمُ أقوى

الغيم تدفعهُ الرياحُ ؛

الريحُ أقوى /

الريح توقفها الجبالُ ... " (٣)

إذنْ عليَّ الآنَ أنْ أتأملَ القممَ التي ترنو إلى الوادي ،

و تنسى وَ هْيَ تنظرُ من علٍ

" إنَّ الجبالَ من الحصى " (٤)

* * * *

---

(٣) علي بن أبي طالب

(٤) علي بن أبي طالب

مشروع قاتل

أحبُّ الرصاصَ ...

إلى الثالثِ الإبتدائيِّ تقتادني الحرب ؛
أذكرُ ..
قبلَ ثلاثينَ عاماً تماماً
رأيتُ التلاميذَ يستبدلونَ رصاصَ الكتابةِ بالحبرِ ،
لكنَّني كنتُ طفلاً صغيراً ..
أحبُّ ذنوبَ الرصاصِ التي تمَّحي
عندما الحبرُ كانَ يلطِّخُ أوراقهم و الأناملْ

أحبُّ الرصاصَ ...
لذا يدَّعي أصدقائي بأنّيَ (مشروعُ قاتلْ)

* * * *

مرسين : ٢١ – شباط – ٢٠١٥

هامش أخير

تزغرِدُ أمهاتُ الجندِ
للناجينَ و القتلى ؛

أنا أمُّ الشهيدِ – تقولُ سيّدةٌ
تزغردُ في الجنازةِ ...

بل أنا أمُّ الشهيدِ – تقولُ سيّدةٌ
على الطرفِ النقيضِ ...

و ثَمَّ أمٌّ تنهرُ الجنديَّ :

" اِبكِ كما النساء

على بلادٍ لم تَصُنهَا ..

كالرجال .... " (٥)

* * * *

(٥) قالت عائشة لابنها أبي عبد الله الصغير و هي تصغي إلى صهيل الخيل على هضبة زفرة العربي الأخيرة: (ابكِ كالنساء مُلْكاً لم تحفظه كالرجال)

تذييل

" وداعاً يا سورية ..

وداعاً لا لقاء بعده ، ... "[٦]

* * * *

إدلب : ٢٩ - آذار - ٢٠١٤

---

(٦) هرقل مخاطباً سوريا بعد فتح قنسرين

كتاب الحرب

I

في الحربِ ..
إذْ وقفَ الجميعُ على الحيادِ
لكي أكونَ مع البلادِ ..
وقفتُ ضِدّي

و وقفتُ – إذ كانوا العواصفَ – وردةً
لتكونَ طوعَ رياحهم أعناقُ وردي

في الحربِ ..
آخيتُ العدوَّ ،
همستُ : أوصيكَ المحبَّةَ يا ابنَ أمّي – الأرضِ – بعدي

(نردانِ) نحنُ الآنَ في كفِّ الطوائفِ
لو ترى كم أنتَ في المرآةِ وحدي !

II

في الحربِ ..
أدرِكُ حينَ يخطئني الرماةُ ..
كم في مهبِّ الموتِ تنتبهُ الحياةُ !

في الحربِ ..
أحصي عمرَ جرحِ النازحينَ
بما على أدراجهم يعلو النباتُ

III

في الحربِ أهذي :

(البيدقُ /

الفيلُ /

الحصانُ /

القلعةُ الأولى /

الأخيرةُ ....

ثمَّ ماذا أيُّها الملكُ العنيدْ ؟!

و هلِ النهايةُ تقتضي شجراً يسيرُ ..

لكي تُصدِّقَ ما رأتهُ الأمسَ زرقاءُ اليمامةِ في البعيدْ ؟)

IV

في الحربِ ..
أقتنِصُ الهنيهةَ هدنةً
لأُعِدَّ ما بينَ الجنازةِ و الجنازةِ ..
قهوةَ الحبِّ السريعَةْ

و أقولُ :
آخَرُكَ العدوُّ .. و أنتَ – في المرآةِ – ذئبٌ واحدٌ
يخفي الغزالةَ خلفَ أقنعةِ الخديعَةْ

في الحربِ ..
– في وطني –
الجميعُ على اتفاقٍ كاملٍ
أنَّ الضحيَّةَ قاتلٌ ضجرٌ يفتِّشُ عن ذريعَةْ

٧

في الحربِ ..
أبصرُ كيفَ تختبئُ ابنتي خلفَ الأصابعِ
من هديرِ الطائراتْ

فأقولُ : تخفيها الأصابعُ
مثلما أخفى ابنَ عبدَ منافَ بيتُ العنكبوتْ

و أقولُ : شكراً إذْ تُعلِّمني الطفولةُ يا ابنتي
فقهَ النبوةِ في النجاةْ

و أقولُ : شكراً للرصاصةِ حينَ تخطئني ..
و شكراً حينَ تحجبها البيوتْ

VI

في الحرب ..
أسمعُ كيفَ يهذي
– إذْ تسدُّ الطائراتُ الأفقَ – هارونُ الرشيدْ :

جسدي المدينةُ ،
" سوفَ يرجعُ لي خِراجُكَ
أينما أمطرتَ يا غيمَ الحديدْ " (٧)

---

(٧) هارون الرشيد

VII

في الحرب ..
أبصرُ – مثلَ يوسفَ –
ما تخبَّئهُ الغمامةُ في كتابِ العشبِ

فأقولُ :
شعبي ..
إنَّ أولَ خطوةٍ في الحلمِ ..
تبدأُ من ظلامِ الجبِّ

VIII

في الحرب أسألُ
– حين أصحو –
: كم مضى من ليلنا ؟
فتجيبني امرأتي : القليلُ ؛
قذيفتانِ و قنبلةْ ...

و تقولُ :
إذْ أغفو أرى – فيما أرى –
أنَّ الجهاتِ مناجلٌ ترنو إليكَ ..
و أنتَ وحدك سنبلةْ

IX

في الحرب أغفو ..
عَّلهُ يرتاحُ صلصالي – قليلاً –
من أزاميلِ الحياةِ

في الحربِ أصحو ..
كي أردِّدَ حينَ يخدعني الخرابُ :
(معي حقائبُ ذكرياتي)

X

في الحرب أكتبُ :
مثلَ أحذيتي عَليَّ تضيقُ أرضي
و أظلُّ ..
إذْ كلُّ البلاد إلى سرابِ التيهِ تمضي ...

النازحونَ نجوا هناكَ ،
أنا هنا ما زلتُ أنجو
كي أرى موتي مراراً عنهُ عينُ الموتِ تُغضي

ما الفرقُ بينَ هنا ؛ الرصاصةِ ..
و السلامِ ؛ هناكَ ؟
ما دامَ الطريقُ هو الطريقُ إلى سريرِ الطينِ يُفضي !

أمّي هناكَ ..
تطيلُ ركعتها
و تُغرِقُ في الدعاءِ
لعلها فيما يهبُّ من النعاسِ تجسُّ نبضي

و أنا هنا ؛
ضدَّينِ تُشهِرُني الطوائفُ ،
منذُ أنْ قيلَ : (اهبطوا ...)
لمّا تَزلْ في حربها بعضي لبعضي

* * * *

هامش عن الحرب

الحربُ ..
نهرٌ ضفتاهْ ..
شوكٌ يخبِّئُ وَرْدَهُ /

غيبٌ تحاصرنا خطاهْ
سرَّاً يُقلِّبُ نَرْدَهُ ..

فينا ،
فيغرينا المتاهْ .
الموتُ يربحُ وحدهُ ..

يصحو ..
فيوقِظُ – في مداهْ –
في كلِّ شيءٍ ضِدَّهُ ...

الموتُ يحيا وحدهُ
و المرءُ يمضي وحدهُ

و الحربُ تشعلها يداهْ
كالغيمِ يقدحُ رعدهُ

* * * *

من أخبار الرسل و الملوك

يام [8]

عُدْ بي إليَّ
أوِ انتظرني كي أعودَ إليكَ منّي

أنا طيشُ من ضلَّوا ،
فيا وطني :
على نفسي أعنّي

الآنَ ..
من جبلٌ سواكَ سيدفع الطوفانَ عنّي ؟

---

(٨) يام أو كنعان ابن نوح

كنتَ السكينةَ ..
و المرايا كنتَ ما بيني و بيني

و الآنَ ..
أبصرُ كيفَ تتبتُ تحتَ مائِكَ
نارُ حزني !

الماءُ يصعدُ
– موطني –
للماءِ بعدكَ لا تَكِلْني ....

* * * *

يعقوب

بيني و بيني ..
بابُ سرِّكَ يُفتحُ

فأراكَ ..
من قنديلِ حزني ترشحُ

أدنو إليَّ فلا أرى إلاكَ /
أنظرُ ..
لا أرى غيري بمائكَ يسبحُ

مَنْ لستَ تبصرهُ العيونُ
بقلبهِ يعقوبُكَ الأعمى قميصَكَ يلمحُ

أخشى يطيش القلبُ من فرحٍ
إذا هبَّتْ رياحكَ ،
و المدائحُ تشطحُ

* * * *

أخوة يوسف

مذْ كانَ أصغرَنا ..
يهجِّئُ ما تخبؤهُ الغمامةُ
في كتابِ العشبْ ..

كنّا أقلَّ بصيرةً ،
و أشدَّ طيشاً ..
مثلما تهوى الرجالَ الحربْ

... سنقِلَّ فرداً يا أبانا
كي تُقَسِّمَ بين من ظلّوا رغيفَ الحبّْ

أنتَ الذي مُذْ قلتَ :
(لا تقصُصْ على أحدٍ رؤاكَ)
نذرتهُ للجبِّ

* * * *

زرقاء اليمامة

أتأمَّلُ الأشجارَ ؛
خلفَ جذوعِها ..
فيما أراهُ ..
الحربَ قبلَ وقوعِها

و أرى الجيوشَ ..
ضفافَ نهرِ الريحِ تنصِبُ – في الحروبِ –
مخيماتِ شموعِها

و أرى المحاربَ ..
كيفَ يكسرهُ الوداعُ الهشُّ
ما بينَ ابتسامةِ أمِّهِ .. و دموعها

و أرى الدوائرَ ..
إذ تدورُ على الملوكِ /
أرى العروشَ /
أرى خريفَ ربيعِها

❊ ❊ ❊ ❊

المتنبي

خيولي القوافي ،
و " عرشي الصفاتُ "[٩]
على ماءِ صوتي يسيرُ الغُواةُ

إلى ما أشاءُ أهشُّ المعاني
كعيرٍ يحثُّ خُطاها الحُداةُ

حروفي ..
جرارُ الكلامِ المضيءِ
على رسلها عتقتها الحياةُ

---

(٩) حكمة شافي الأسعد

على كلِّ ثغرٍ صدى من نشيدي
ترى هل أنا واحدٌ أم مئاتُ ؟

أنا قمحةٌ في ترابِ الخلودِ
" حياتي مماتي /
مماتي حياةُ " (١٠)

كأنّيَ ماءُ المرايا الضريرُ
يشفُّ .. لتبصِرَ فيهِ الذواتُ

كأنّي السرابُ ؛
صراخُ المياهِ / صداها الذي ردَّدته الفلاةُ

---

(١٠) الحلاج : و مماتي في حياتي و حياتي في مماتي

سرابي دليلُ المسافةِ للتائهينَ
إذا خانتِ البوصِلاتُ

خيولي القوافي ،
و " عرشي الصفاتُ "
على ماءِ صوتي يسيرُ الغُواةُ

* * * *

جمرة الماء

من الدفتر السري لشهريار

الليلة الأولى

ليلٌ .. و امرأةْ

هذا أوانُ البرقِ ...
من جسدينِ تولدُ جمرةُ الكلماتِ ،
مترٌ واحدٌ يكفي و بضعُ دقائقٍ
كي يحسمَ الجيشانِ معركةً و ينتظرانِ أخرى مرجأةْ

مترانِ من ليلٍ :

بعشرِ أصابعٍ طفلٌ يهجئُ

– مثلَ نحَّاتٍ ضريرٍ – دميةً /

شفتانِ ؛ صحراوانِ تعتصرانِ نهدَ الغيمِ /

بابٌ مغلقٌ ،

و نوافذٌ أيضاً مُغَلّقةٌ

إذنْ من أينَ ينبعِثُ الصريرُ الآن ... ؟

ليلٌ .. و امرأةْ

تتعرقُ المرآةُ من هذا اللهاثِ البربريِّ

الليلُ يعرقُ ..

و الملاءاتُ /

السريرُ /

مقابضُ الأبوابِ /

بلّورُ النوافذِ ،
و الهواءُ /
الضوءُ /
نارُ المدفأةْ ...

في هذهِ الحربِ الجميلةِ
كلُّ شيءٍ أبيضٌ من غيرِ سوءٍ :
رايةُ الجيشينِ /
خوفي
و النهاياتُ التي لا تنتهي /
حبري /
نوايا الذئبِ
ليلٌ .. و امرأةْ

جسدانِ ..
يختصرانِ تاريخَ الحرائقِ في الرمادِ
و يحلمانِ بنشوةِ الكبريتِ /
يشتعلانِ /
ينتفضانِ /
ينطفئانِ ...
ثمَّ يخبئانِ – إلى شتاءٍ قادمٍ –
من ذكرياتِ النارِ أعوادَ الثقابِ المطفأةْ

ليلٌ .. و امرأةْ

* * * *

الليلة الألف

تـهوي ،

و أصعدُ ،

ثمَّ تصعدُ ..

ثمَّ نـهوي ، ...

ربَّما كانت أشدَّ تحدِّياً ..

من وردةٍ فوقَ السياجْ

و أنا أشِفُّ هشاشةً مثلَ الزجاجْ ..

لكنّني ..
ما بينَ جمرتها و مائي ..
كنتُ أنتظرُ انطفائي

محضُ نحّاتٍ يهجئُ بالأصابعِ أبجديتها .. أنا ،
هي محضُ عاجْ

الآنَ ..
توصدُ خلفها ليلَ الحكايةِ ثم تمضي شهرزادُ
الآنَ ..
ينطفأُ السِراجْ

* * * *

الليلة الثانية بعد الأف

...

من أيِّ بابٍ أدخلُ الأحلامَ ؟

كم ناي سيلزمُ كي ينامَ حمامُ روحي مذْ صمتِّ ؟

*   *   *   *

نوافذها

نوافذها ..
على قلقٍ تباتُ
فكلُّ الناسِ مُذْ عشِقَتْ رماةُ

ستختارُ الغيابَ ؛
هناكَ عرشٌ ..
يؤثِّثهُ لدجلتِها الفراتُ /

هناكَ ..
نبيذُها الملكيُّ يصفو
لتغرِفَ من بلاغتهِ الصفاتُ

هناكَ ..
ذئابها في الليلِ تعوي ،
و يوسُفُها على قَلَقٍ يَبَاتُ

هناكَ ..
و منذُ أن غابت خطاها
على أدراجها اصفرَّ النباتُ

* * * *

نصف نافذة

كنتِ الزجاجَ
و منذُ أولى الذكرياتِ
عرفتِني طفلاً شقيّاً كانَ يصطادُ النوافِذَ

قلتِ لي :
(كن للغزالةِ جدولاً ،
و اقتل بروحكَ شهوةَ الصيادِ ...)

أصغرَ من سريرِ الحبِّ كنتِ ،
و كانَ ما بيني و بينكِ ..
نصفُ نافذةٍ ، و عمرٌ لا يزيدُ عن الأصابعِ

ربّما لو كنتِ أبعدَ
لانتبهتُ إلى غيابكِ – قلتُ ...

قلتِ :
و ربّما لو كنتَ أبعدَ ..
لارتدى شجري سواكَ

ضحكتُ /
قلتُ :
مراهقانِ يمارسانِ غوايةَ الكلماتِ

في تشرينَ ..
كانَ الزنزلختُ يُعِدُّ صُفرتَهُ
و يصعدُ شرفةَ الصيفِ الأخيرةَ
كي يليقَ بما تركتِ من الوداعِ

و كنتُ أنجزُ ذكرياتي
غائباَ عنّي
و عنكِ
و عن صدى الناياتِ ،
حبري طافحٌ جدّا ،
و لكن ليسَ يسعفني الكلامُ ...

و مرَّ عامٌ ..
منذُ غادَرَتِ المدينةُ في حقيبتكِ الصغيرةِ
مرَّ عامٌ ..
لم يَزَلْ بيني و بينكِ نصفُ نافذةٍ ..
و عمرٌ لا يزيدُ عنِ الأصابعِ
كيف تتسعُ المسافةُ بينَ نافذتينِ للمنفى ..
و راياتِ الطوائفِ ؟
بينما كانَ اعتذارٌ واحدٌ يكفي
لنمسحَ عن مرايا الروحِ تاريخَ الحصى ...

الآنَ أكتبُ – في غيابكِ –
ليسَ يعنيني الصراعُ و لا الطوائفُ ..
وردةٌ تكفي ليبتدأَ الربيعُ
و شارعٌ يكفي لأختصرَ المدينةَ
و المدينةُ نصفها المنفي أنتِ ..
و نصفُها الثاني ...
و تكفي نصفُ نافذةٍ لألمحَ شالكِ البحريَّ
يخفقُ مثلَ نورسةٍ على حبلِ الغسيلِ
فأطمئنُّ على القصيدةِ بانتظاركِ /
أطمئِنُّ بأنَّ ما بيني و بينكِ نصفُ نافذةٍ
و عمرٌ لا يزيدُ عن الأصابع ..
أو أقلّ ...

* * * *

سيرة ذاتية :

حسن إبراهيم الحسن
وُلِدَ في جديدة الجرش / ريف دمشق ٢٤ آذار ١٩٧٦
تخرّج من جامعة حلب / المعهد المتوسط التجاري ، قسم المحاسبة

هـ ٠٠٤٩١٥٢١٣٤٤٥٦٣٦
هـ ٠٠٤٩١٥٧٥٩٥٥٥٤٣٥
Almerbad76@yahoo.ca
hasan.alhasan76@gmail.com

حائز على عدد من الجوائز العربية و المحلية منها :
جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي ٢٠١٤ عن مجموعته الشعرية (خريف الأوسمة) / الخرطوم
جائزة دبي الثقافية ٢٠١٢ – ٢٠١٣ عن مجموعته الشعرية (غامضٌ مثل الحياة و واضحٌ كالموت) / دبي
جائزة دبي الثقافية ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ عن مجموعته الشعرية (ها أنتَ وحدي) / دبي
جائزة الشارقة للإبداع العربي ٢٠٠٧ عن مجموعته الشعرية (المبشَّرون بالحزن) / الشارقة
جائزة أفضل قصيدة عن الأم / قناة المستقلة ٢٠١١ لندن
جائزة طنجة الشاعرة الدورة التاسعة ٢٠١٢ المغرب
جائزة حلب عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧ حلب

من بين المشاركين في برنامج أمير الشعراء / الدورة الثانية ٢٠٠٨ أبو ظبي
من بين المشاركين في برنامج (ملتقى الشعراء) قناة الكوثر ٢٠١٠ /٢٠١١
مدينة مشهد / إيران

جائزة سليمان العيسى	٢٠٠٨ دمشق
جائزة البحتري الشعرية	٢٠٠٥ منبج / حلب
جائزة عكاظ الشعرية	٢٠٠٦ سراقب / إدلب
جائزة أبي الفداء الشعرية	٢٠٠٦ حماة
جائزة ربيعة الرقّي الشعرية	٢٠٠٦ الرقة
جائزة ربيعة الرقّي الشعرية	٢٠١١ الرقة
جائزة الجولان الشعرية	٢٠٠٦ القنيطرة
جائزة الجولان الشعرية	٢٠١١ القنيطرة
جائزة اليرموك الشعرية	٢٠٠٧ دمشق
جائزة الجولان للقصة	٢٠٠٧ القنيطرة
جائزة لقاء الأجيال الشعرية	٢٠١٠ حلب
جائزة ثابت بن قرة الحرّاني	٢٠١١ الرقة

صدر له :
(المبشرون بالحزن) مجموعة شعرية عن دائرة الثقافة و الإعلام / حكومة الشارقة ٢٠٠٨
(ها أنتَ وحدي !) مجموعة شعرية عن دار شباب النهرين / دمشق ٢٠١٠

(غامض مثل الحياة و واضح كالموت) مجموعة شعرية عن دار الصدى / دبي ٢٠١٥

(خريف الأوسمة) مجموعة شعرية عن منشورات زين / الخرطوم ٢٠١٥

و له مخطوط : (كالصدأ العنيد على الصواري) مجموعة شعرية

هذا شعر عظيم، سلس الإيقاع، محكم النسج، عالي الغناء. يتميز بصفاء رقراق، شعر يجعل المأساة الإنسانية قضيته الكبرى، لذا فأنه بهـذا الموقف، يجعلنـا كلنا أياً كُنّـا، وفي أي مـكان، مسؤولين عما يجـري، يستنهضنا، لا لكي نقول لا للحـرب (في أي مكان)، بله في ديارنا. لا نكتفي بالقول، ولكن أن نتبع القول الفعـل، وإلاً ففي أصابعنا آثار دم.. دم.. دم ...!

هكذا يكـون الشعر، «جـرارُ الكلامِ المضيءِ»، وكذا، بنا يفعل!!

جائزة الطيب صالح العالمية للابـداع الكتابي
الدورة الخامسة ٢٠١٥م
السودان - الخرطوم